مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإنسان بين ضيق التفسير العلمي وسعة التفسير الديني والأنتروبولوجي

– مقاربة فلسفية دينية أنتروبولوجية.

Human being between the Limits of the scientific Explanation and the Flexibility of Religious and Anthropological one: An anthropological Religious- Philosophical Approche.

آيت أحمد نورالدين*

جامعة سعيدة د. مولاي الطاهر –الجزائر

noureddine.aitahmed@saida-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2022 /01/03 تاريخ القبول: 2022/02/12

ملخص:

ميّز الله تعالى الإنسان وحباه بالعقل، فاستطاع تحدي الطبيعة، وكان يتعلم من كل تحدٍ يواجهه وينقل تلك الخبرة إلى الأجيال القادمة لتكون أقوى فأقوى، وهكذا تطورت علوم الإنسان وتكنولوجياته فاستطاعت فهم كل ظواهر الإنسان. وهكذا صرنا نسمع في أيامنا هذه عن عمليات ومهارات يقوم بها العلماء أقل ما يقال عنها أنها ضرب من الخيال: البعض يتحدث عن صنع بعض المواد والهورمونات التي تصنعها أعضاؤنا، والبعض الآخر يتحدث عن إنتاج نماذج بشرية كاملة حسب الطلب بتقنية الاستنساخ، وما يدور في المختبرات العلمية السرية وخفي علينا فهو أعظم.

لكن تبقى ملاحظة في غاية الأهمية هي أن هذه العلوم لم تستطع إلا فهم الظواهر الجسدية المرتبطة بعمل الأعضاء ونشاطها، وعجزت عن تفسير وفهم الظواهر الروحية، الدينية والاجتماعية، مما فرض اللجوء إلى مقاربة تتجاوز الطرح العلمي إلى الطرح الديني والأنتروبولوجي.

الكلمات الدالة: العلم، الدين، علوم الاجتماع، الانتروبولوجيا، الروح.

Abstract:

God Almighty distinguished man and his love of reason, so as to be able to challenge nature. Man has learned from every challenge he faced and passed on that experience to future generation to acquire strength. Thus, human and technologies developed and were able to understand all human phenomena. Subsequently,

*المؤلف المرسل: آيت أحمد نورالدين، الايميل: noureddine.aitahmed@univ-saida.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

nowdays we hear about unimagined operations by scientists. Some talk about making some hormones that our organs make, other talk about producing complete human models using cloning technology. This not to mention the hidden and laboratory processes wtich are most of the time kept confidential. However, these sciences can understand the physical phenomena. They are unable to explain the spiritual, religious, and social phenomena. An approach that goes beyond the scientific to the religious and anthropological is needed.

Keywords: science; religion; social sciences; anthropology; spirit.

مقدمة:

عاش الإنسان لفترةٍ طويلة معتمدا على الغريزة والفطرة، وكانت حالته هذه أقرب إلى حالة حياة الحيوان، فلا قوانين ولا شرائع ولا نظم سياسية أو اجتماعية، بل المبدأ الوحيد الذي حكم تلك الحياة هو نظام الغاب الذي ينص على بقاء الأقوى مما انجر عنه حالة عارمة من الفوضى نتيجة اعتداءات الأقوى، ولولا شعور الضعفاء- بالخوف والقلق على مصيرهم ومصير حيواناتهم التي هي مصدر حياتهم وسبب بقائهم- الذي ألهمهم الاهتداء إلى حلٍ ناجع هو أن الغاية تبرر الوسيلة. ولأجل الحفاظ على بقائهم "شرَّعوا كل الوسائل ومنها أنهم اجتمعوا واتفقوا على قتل القوي إما بمواجهة جماعية ودفعة واحدة أو بنصب كمين للقضاء عليه" (Hobbes, 2000, p. 220).

انتقلت البشرية بموجب هذا العقد القديم إلى حياة أفضل وتم نبذ وتحريم وبصورة نهائية استعمال القوة بين أفراد المجتمع الواحد، فتوفرت جراء ذلك الحرية واعتُرف بحق الجميع في العيش الكريم مما هيأ الظروف الضرورية واللازمة لتطور الإنسان، فظهرت العلوم الطبيعية وتوالت التقنيات المختلفة فصار بمقدور الإنسان القيام بإنجازات مختلفة في شتى المجالات خصوصا في وقتنا المعاصر حتى اعتقد أنه على كل شيء قدير.

السؤال الجوهري الذي يواجهنا اليوم هو: هل يمكن للعلم الذي يقوم على أساس التجربة تقديم كل الاجابات وإيجاد كل الحلول للمشكلات التي تواجه الإنسان؟ أم يمكن أن نعثر على هذه الحلول في غير العلم؟ وهكذا، فإن من بين الغايات التي يستهدفها البحث: معرفة وفحص قدرة العلم على القيام بهذه المهمة، كما يبحث أيضا الاجابات التي تقدمها المصادر الأخرى التي يملكها الإنسان خصوصا ما يهتم منها بحياة الإنسان في كل جوانبه مثلما يفعل الدين وغيرها، ولتنفيذ هذه الغاية لم نجد أنجع من المنهج التحليلي النقدي وسيلة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: العلم قادر على فهم الإنسان وتفسير ما يحدث له:

يدعي دعاة هذا الرأي أن العلم التجريبي قادر، لوحده، أن يقدم التفسير الشامل للإنسان وحجتهم في ذلك أن العالِم – دون سواه– يتميز بحرية الفكر أثناء عمله وأنه لا يخضع لأية قيود أو شروط مسبقة: " يعد المنهج التجريبي المنهج العلمي الذي يتصف بحرية الفكر فهو يحطم القيود الفلسفية والايديولوجية التي تحد من نشاطه عادة، بل لا يقبل حتى سلطة آرائه العلمية" (Bernard, 1966, p. 63). إذن، فلقد اعتقد العلماء أصحاب النزعة التجريبية أن الإنسان موضوع بحث يمكن دراسته وتفسير جميع النشاطات التي يقوم بها بالتفسير الفيزيائي الكيميائي، تماما كما يفعلون مع ظواهر الطبيعة الجامدة، فالإنسان – في نظرهم – مجرد ظاهرة طبيعية لا وجود لأدنى فرق بينه وبين ما نجده في الطبيعة، وأن ما يسري على هذه الظواهر الصماء، يسري بالضرورة عليه هو أيضا.

لقد كشف العلماء عن المبدأ العام الذي يحكم الطبيعة وهو مبدأ السببية والحتمية المطلقة، ومضمون هذا القانون أن لا ظاهرة من الظواهرة مهما كانت، تحدث من تلقاء نفسها، بل هي مقترنة بجملة من الشروط، إذاحضرت، فلا وجود لما يمنع حدوث النتيجة، وإن غابت، فما من سبيل لظهورها، وهذا المبدأ هو الذي يضمن النظام والثبات في الكون جميعا، ولولاه لعمت الفوضى المجال والكون، وتصير حينئذ الصدفة العمياء هي التي تسود، وفي هذه الحالة فلا مجال للبحث أو العلم، لأن الظواهر تحدث بشكل فوضوي يتبدل في كل مرة، وهذا يعيق ويبدد جهود العلماء.

لقد صار العلماء يتشدقون ويتفاخرون بمنجزاتهم وبما يحققونه من انجازات وانتصارات على جميع الأصعدة، كما خُصصت جوائز عالمية لمكتشفي أسار الظواهر الطبيعية والمخترعين، حتى أن الدول والأمم صارت تُرتِّب تبعا لعدد ما فيها من علماء منتجين للعلم وللنظريات العلمية وفي هذا السياق، والأمر –ليس غريبا – أن يصير للعلماء من الطراز الأول بورصة مثل بورصة الذهب والبترول، وصارت الدول القوية تتنافس فيما بينها لاستقطاب العلماء الشباب من دولهم الفقيرة، فتغريهم بالمستقبل الوردي لتنظم سنويا مسابقات فتختار عددا من المتفوقين حسب حاجتها السنوية من المادة البشرية الخام، فتنتقي أجود العقول وأذكاها فتأخذهم وتوفر لهم أحسن الظروف والبيئات أو لا توفر لهم شيئا، فهي حتى وإن تركتهم لحظهم، فسينجحون بعد مدة في ترويض تلك البيئة بما لديهم من مهارات، وبعد مدة من الزمن، تبدأ قدراتهم الكامنة في الظهور

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والتبدي في شكل انجازات وابتكارات، لتجني الدولة الحاضنة لهم ثمرة تلك الانجازات، فتُسمَّى باسمها وترقى بين الأمم بسببهم.

ويمكن ذكر بعض الانجازات العلمية:

- التقدم الهائل للطب الذي استطاع اكتشاف عدد كبير جدا من أسباب الأمراض التي كانت تفتك بالبشرية، وتحضير الوصفات الطبية والأدوية وتقدم التكنولوجيا التي جهزت المخابر بالآلات المتطورة حتى صار العلماء يجرون العمليات الجراحية فينقذون حياة الآلاف.
- الاعتناء بالأم الحامل وتحسين ظروف ازدياد المواليد الجدد وتراجع الوفيات.
- تحسين ظروف الحياة بتوفير المواد الغذائية والمياه الصالحة للشرب مما قضى على المجاعة والأوبئة.
- التدخل في تركيبة الحمض النووي للعديد من الحيوانات والخضر والفواكه حتى تناسب الطلب المتزايد.

لكن في مقابل ذلك، فإن هناك ثمنا باهضا دفعته البشرية باسم هذا التقدم، فعلى قدر تقدم مستوى الحياة المادية لدى المجتمعات المصنعة، تخلفَّت الدول الفقيرة الضعيفة، لأن الدول المصنعة هي التي تتحكم في دولاب الحياة، فتخفض ثمن المواد الأولية التي تأتي بها من الدول الفقيرة لتُصنِعها وتحولها ثم هي مَن يحدد ثمنها لتعود لموطنها الأصلي بأسعار باهضة مما سبب ثراء الأولى وفقر الثانية، إذن فقولنا تقدم مستوى الحياة، لا ينطبق على عموم البشرية، بل على المجتمعات المصنعة الاستعمارية وحدها، إذ أن المجتمعات الفقيرة لم توفر حتى المياة النقية الصالحة للشرب لمواطنيها فما بالك بما هو أصعب، كما أن تطور وتقدم مستوى المعيشة لدى الدول القوية صحبته بعض المظاهر السلبية لفكر هؤلاء والذي انعكس على مستوى الحياة اليومية فأفرز سلوكيات مشينة منها: التحرر المطلق وتخلي الأولياء عن التدخل في شؤون أبنائهم بمجرد البلوغ، جعلهم عرضة لفساد وانحلال أخلاقهم، كما أن المسنين منهم لم يجدوا من يعتني بهم، فأُخذوا لدور العجزة ليموتوا في صمت، تنامي الاجرام والاتجار في الممنوعات، ثم لو فحصنا المجتمعات المصنعة، فإننا لا نجد كل فئاتها قد تحققت لها السعادة، بل الطبقة المحضوضة وهي عادة المالكة لوسائل الانتاج دون سواها، وهكذا يمكن القول بأن هذه العلوم التي كانت سببا في التطور، قد فقدت وعيها أو غاية وجودها: " ليس للعلوم وعي بدورها في المجتمع، ليس للعلوم وعي بالمبادىء اللاشعورية الخفية التي تحكمها، ليس للعلوم وعي بأنه ينقصها وعي، من هنا تولد الحاجة إلى علوم لها وعي، آن الأوان أن نعي مستوى تعقيد الواقع: الفيزيائي، البيولوجي، الإنساني والاجتماعي، والسياسي، آن الأوان إذن أن نعي أن لا حاجة لنا لعلوم من دون وعي"

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(Morin, 1990, p. 156)إذن فالعلم المادي التجريبي عجز في تحقيق الهدف الذي أعلن عنه في البداية، فهو بدلا من جلب السعادة دون شروط مسبقة أو قيود لعموم البشرية، قصرها على فئة مخصوصةمنها.

ثانيا: الدين كفيل بتفسير الإنسان وإسعاده:

إن الله عزوجل خلق المخلوقات على درجات متفاوتة من التركيب والتعقيد وأعطى كل نوع منها قدرات تؤهلها للغاية التي من أجلها وجدت، فخلق في أعلى المراتب والدرجات الملائكة بلا غرائز، فكانت كما قال عنها ربنا (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم، الآية :06، ثم خلق في أدنى المراتب الحيوانات، وهي مخلوقات غريزية، لذلك فهي أقل شأنا من الباقي، وغاية وجودها أن يستعملها الإنسان لتستقيم حياته، وأوجد الإنسان وهو مخلوق يجمع بين العقل والغريزة، لذا، فهو في مرتبة وسطى بين الجميع، لكن إن غلَّب العقل على الغريزة ارتقى واستحق مرتبة أعلى وأسمى من الملائكة، وإن غلَّب الغرائز على عقله، انحط أدنى وأسفل من الحيوانات.

والخالق سبحانه وتعالى أوجد الكون وما فيه من مخلوقات على الصورة التي هي عليه كما أرادها هو، فقدرته مطلقة وعلمه كامل، فالخالق كما ورد تعريفه : " مقولة فلسفية غير مشروطة، غير نسبية ومستقلة، تدل على اللامتناهي واللامحدودية، وهو لا يتوقف على شيء آخر عدا نفسه، يخلق الخلق بمعنى التقدير والايجاد كل الوجود وهو على كل شيء قدير" (صليبا، 1982، صفحة 39). إذن فالخالق، قد أوجد الكون كما هو عليه وبإرادته وفضَّل الإنسان من بين جميع مخلوقاته، قال تعالى(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء، الآية: 70. ومن جملة الفضائل التي خصَّ الله تعالى بها الإنسان: العقل، وهو كما عرفه القدامى ومنهم الجبائي المعتزلي: " إنما سمي العقل عقلا، لأن الإنسان يمنع نفسه به عمَّا لا يمنع المجنون نفسه عنه." (مشكور، 2017، صفحة 306). فقيمة العقل كامنة في أنه يرشد صاحبه في أعماله الخيِّرة وفي ردعه عمَّا لا يتفق مع طبيعته البشرية. فعندما منح الله تعالى الإنسان العقل، إنما أراد منه أن يستعمله أحسن استعمال وأن يُضغي لتعاليمه التي يبلغها الأنبياء والمرسلون حتى ينال الغاية العظمى وهي الجنة، فهو عقل مُؤيد يحضى بتأييد رباني يطلب الأوصاف الباطنية للأشياء: " يخرج العقل من قصوره النظري إلى شجاعته العملية في تلقي الخطاب الإلهي" (طه، 2006، صفحة 73).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن المفهوم (الطهوي) نسبة للمفكر المغربي طه عبد الرحمن يتجاوز النظرة التقليدية لمفهوم العقل القاصر، ويؤسس لعقل جديد عقل مركب يدرك فيه المخلوق أن الحق تبارك وتعالى يخاطبه ويرعاه باستمرار ويؤيده، فمعلوم أن عقل الإنسان لا يبقى على حال واحدة بل هو شديد التحول والتقلب حسب ما يمرُّ به من ظروف، وأخلاقه كذلك تتقلب وتتغير ولا تكون قويمة إلا عند تأثيرها على السلوك، ليكون الفرد فيه مسؤولا في الإتيان به أو تركه. فعندما يكون العقل في هذا الإطار والتصور: " فهو لا يخرج عن دائرة الدين بداية ومنطلقا، ليتخذ من أسباب الطاعة في العبادة والمعاملة كمبدأين عمليين يطبقان من خلال وسيلة الاشتغال بالله والتعامل في الله وسائل لابتغاء رضاه، وليس للإنسان أن يختار أعماله بالتشهي، بل ينبغي أن يتوارد العقل والنقل على صحة فائدة العمل المختار في الوصول إلى هذه الغاية، ولا عمل أقرب غير (العمل الشرعي) ، فهو أنفع الأعمال في جلاء الحدود وأنجع الوسائل في رفع القيود" (الحمري، 2016، صفحة 169).

فالعقل إن كان مؤيدا بالتوجيه والرعاية الربانية، فهو وسيلة للنجاة ومركبة للجنة، وفي هذه الحالة يستطيع مقاومة كل الإغراءات والضغوطات كيفما كانت، وإن خرج عن هذا الإطار، كان سببا في هلاك صاحبه.

ويجب الإشارة إلى نقطة غاية في الأهمية هي أن حياة الإنسان قبل مجيء الأنبياء والرسل وورود الوحي، لا تكليف عليها أي أنه لا تستدعي مدح ولا ذم، على حد المذهب الأشعري : " فإن النص هو الموجب للفعل أو الترك انطلاقا من قوله تعالى(وما كنَّا معذبين حتى نبعث رسولا) الاسراء، الآية: 15، فلا تكليف قبل ورود الشرع، أي أنه لا حكم عند هذا المذهب على الأفعال ولا يمكن أن يترتب عنها ثواب أو عقاب قبل مجيء الشرع " (ماجدي، 2008، صفحة 308). فالعقل المؤيَدُ الموفَقُ بالعناية الإلهية عقل فطري ربما يدرك الصواب بما أودع الله تعالى فيه من قدرات ومهارات عقلية تقيم الأفعال، فتعرف ما فيه من خير أو شر، فتتخذ الإجراء والقرار الحكيم، ولما كان هذا العقل قاصرا وحده على إدراك أحكام الأفعال كلها من نفسه، أيده الحق تبارك وتعالى بالنصوص الشرعية التي تحدد الحلال من الحرام، المسموح من الممنوع، فلم تعد – بعد ذلك – للعقل حجة، فإن استقبل العقل هذه التعاليم برضى نفس واطمئنان، وحرص على تطبيقها وأخضع كامل حياته والتصرفات التي يأتيها إليها، كان ممن ينالون رضى الله تعالى، فيسعد في الدنيا ثم في اللآخرة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثالثا: التفسير الأنتروبولوجي للإنسان:

يحسن بنا، في هذا المقام، قبل البدء بالحديث عن علاقة الأنتروبولوجيا بالإنسان، أن نعرِّف هذا العلم الذي يُنصِّب نفسه بديلا لعلوم الطبيعة والحياة التي تدرس الإنسان وتعتبره مجرد ظاهرة طبيعية أو كائن حي لا يختلف عن الحيوان إلا في درجة تعقيد تركيبه، وأن أغلب الوظائف التي يقوم بها والنشاطات، توجد لدى عموم الحيوانات، إذن فعلم الإنتروبولوجيا يُعرف على أنه: " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل " (الشمَّاس، 2004، صفحة 14). يعني أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن منعزل عن الآخرين كما تفعل العلوم، بل تدرسه في علاقته مع بني جنسه، أي في محيطٍ حي حيث يتفاعل مع غيره، يؤثر فيهم ويتأثر بغيره.

ومن الأهداف التي رسمها العالم الأنتروبولوجي لنفسه:

- وصف معالم ومظاهر الحياة الاجتماعية بشكل دقيق، إذ أن الباحث لا يكتفي بملاحظة عابرة لهذا المجتمع أو الجماعة فحسب ثم يضع نظرياته، بل يعيش معها لمدة طويلة جدا حتى يكاد يصبح فردا منهم، يلازم سلوكهم وعاداتهم وطقوسهم إلى درجة أنه يقوم هو أيضا كما لوكان عنصرا من هذا المجتمع.
- تصنيف وتمييز أشكال الحياة الاجتماعية وترتيبها في شكل أنماط أوفئات عامة، جماعة بدائية، متحضرة، زراعية، صناعية، منغلقة، منفتحة...
- الوقوف على أسباب وعوامل التغير الذي يحدث لجماعة بشرية ما، وذلك بربطها بالماضي الذي مرت به، والتطورات التي خضعت لها.
- مقارنة الجماعات البشرية فيما بينها لاستنتاج القواسم المشتركة والعوامل التي تتكرر باستمرار، للوصول للقوانين الحتمية التي تتحكم في السلوك البشري ككل، ومن هنا امكانية التنبؤ بمستقبل الإنسان.

1- أدوات ومناهج الأنتروبولوجي وعالم الاجتماع:

يمتلك علماء هذا الميدان طرق بحث تمكنهم من الإحاطة بالعينة موضوع البحث هي:

البحث الكشفي الصياغي: حيث ينحصر اهتمام الباحث في جمع المعلومات والبيانات التي تسمح له بأداء دراسة معمقة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

البحث الوصفي التشخيصي: الدي يسعى فيه الباحث لوصف أبعاد ظاهرة أو مجموعة ظواهر وتشخيص طبيعتها مع التعرّف عليها واستطلاعها مما يسمح بالوصول إلى بيانات أكثر تعمقا من مجرد الكشف والاستطلاع.

البحث التاريخي: حيث يتتبّع الباحث مسار ظاهرة معينة عبر الزمن والمراحل التي مرت بها والعوامل التي أثرت فيها والتغيرات التي أحدثتها، ويستعين أثناء هذه الدراسة على الوثائق التي تركتها الظاهرة والآثار.

2- أهم المناهج في الدراسات الأنتروبولوجية والاجتماعية:

يجب الإشارة إلى نقطة غاية في الأهمية هي أن المنهج الذي يكتفي بملاحظة العينة المدروسة لفترة قصيرة، ثم يذهب لاستخلاص النتائج وصياغة القوانين، لا شك أن مثل هذه المناهج لا ترقى للمستوى المطلوب، وعليه، فإنه يمكن القول أن المنهج الوصفي يعد من أهم طرق الدراسة لأن الباحث يقضي الوقت الضروري مع العينة المدروسة، كما أنه من الدراسات الميدانية التي تنطلق من الواقع خصوصا أننا في أمس الحاجة لدراسات تُعيد الاعتبار للواقع والميدان على حد قول زعيم المذهب الاشتراكي: " إن الفلاسفة حتى الآن لم يقوموا سوى بتفسير العالم بطرق مختلفة، لكن المشكلة باتت في تغييره" (Marx, 1978, p. 09) .

إن الغاية التي يضعها العالِم في هذا الميدان، هو التقرب من الموضوع والتعايش معه مباشرة دون وسائط، خصوصا أن موضوعنا هنا هو الإنسان، وهو موضوع غاية في التعقيد والتشابك والتغير، وفضلا عن ذلك أنه ذات تتميز بالإرادة والوعي، مما يجعل تصرفاته تتغير باستمرار ويجعل غاية العلم الأساسية وهي التنبؤ صعبة إن لم نقل مستحيلة، لذا استنبط علماء الأنتروبولوجيا والاجتماع، هذا النوع من الدراسات التي تلزم العالِم التقرب من موضوعه والتعايش معه لفترة طويلة جدا.

3- أشكال الدراسات الوصفية:

أ- المسح: " محاولةٌ منظمة للحصول على معلومات من جمهور معين أو عينة منه، وذلك عن طريق استخدام استمارات البحث أو المقابلة " (شكري، 1979، صفحة 261). وهو نوعان:

مسوح شاملة: وهي التي ندرس فيها كل أعضاء مجتمع أو جماعة معينة، مثل دراسة سكان حي ما أو قرية بكاملها قصد تصوير أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية، ويمكننا في هذا الإطار ذكر:" الدراسة التي قام العالِم البولندي برونسلاف مالينوفسكي على مجتمع الميلانيزيين، حيث وصف جزر التروبرياند الواقعة شمال شرق غينيا الجديدة (شمال أستراليا) وتعرض لأدق تفاصيل حياة هذا المجتمع، وكذا الدراسة التي قام

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بها الانجليزي تشارلس بوث، الذي اشتهر بدراسة المدن الكبرى خاصة دراسة لندن، أكبر مدن إنجلترا، وسُميت باسم مسح لندن أين تفحص كل شارع وطرق كل باب، فدرس كل أسرها لدرجة الافتخار بانجازه وتحدي غيره، إذ يقول (ليس هناك أحدٌ يستطيع أن يفعل ما فعلته " (قباري، د ت ، صفحة 720). وهو الأهم، لأننا نقوم باستقراء تام لجميع العينات والحالات المتوفرة، ثم نعمم الحكم الذي استنتجناه من دراسةٍ لكل حالة على كل الحالات، فيكون الحكم صحيحا صادقا، لأننا لم نستثنِ حالة دون دراسة. وهذا النوع من الدراسات هو الأصعب، لما يتطلبه من جهد وإرادة، بينما يكتفي النوع الثاني من المسوح بدراسة عينة يقع عليها الخيار دون دراسة الكل، فنكتفي بالعينة كأن ندرس بعض حالات الزواج أو الطلاق ونعتبرها الشريحة التي تمثل وتنوب عن الجميع، وعند الوصول للنتيجة نعمم الحكم على الكل، وهذا النوع من الدراسة لا يمتلك القدرة على تأكيد صحة ما خلصت إليه الدراسة الجزئية.

ب- دراسة الحالة:" أول استخدام علمي منظم لدراسة الحالة في البحث الاجتماعي، كان على يد العالِم الفرنسي فريدريك لوبلاي، حيث حاول أن يربط بينها وبين التحليلات الإحصائية، ومن ثم قام بدراسات مفصلة عن اقتصاديات أُسر العمال قصد الكشف عن أثر التقلبات الاقتصادية في الرفاهية الاجتماعية، وتكمن أهمية هذه الطريقة في قدرتها على اكتشاف كافة المتغيرات المتعلقة بإحدى الحالات وهي الأسرة " (شكري، 1979، صفحة 263). فدرس هو أيضا بعض أسر العمال في حيٍ من مدينة أوربية ما ثم ينتقل لمدينة أخرى، فتجول في أوروبا كلها، فكان يفحص أثاث بيت العمال وما فيه من ممتلكات : أطباقهم، ملابسهم، أكلهم وشربهم دون إهمالٍ لأيٍ من تفاصيل حياة هذه الفئة من المجتمع. ومن هذه الدراسة يمكنه استنتاج فكرة السعادة لدى العمال والعوامل المتحكمة فيها.

خاتمة:

وعليه نقول، أن الإنسان كظاهرة فريدة من نوعها، وبما يمثله من تعقيد وتشابك، يصعب دراسته دراسة علمية باعتماد المنهج العلمي التجريبي، الذي يكتفي بالدراسة الخارجية والشكلية، وإن كان نجاح هذا المنهج في دراسة غير الإنسان قد وصلت لنتائج باهرة، بل قد وصل لنتائج باهرة أيضا في دراسة الإنسان، لكن من جانب مكونات جسده، وأعضائه والوظائف التي تقوم بها، وإصلاح الخلل الذي تعتريها من حين لآخر.

ونظرا لهذا النقص، ذهبنا للبحث عن حلٍ أشمل، فوجدنا أن مَن بإمكانه تقديم صورة كاملة شاملة عن الإنسان، إنما هو الدين السماوي، ولا غرابة في أن نجد الإجابة في هذا المصدر، لأنه مِن خلقِ مَن خلقَ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإنسان نفسه، فالله سبحانه وتعالى، يعرف الأسرار التي أودعها في مخلوقاته، فأخبرنا بما ينبغي عليها فعله، وكذلك تنصِّب الأنتروبولوجيا نفسها بأنها تقدم الحلول الشاملة التي تحقق السعادة للإنسان.

المصادر والمراجع:

أولا– باللغة العربية:

1) الحمري بدر وآخرون، موسوعة الفلسفة الاسلامية – جدل الأصالة والمعاصرة، دار الروافد الثقافية – ناشرون، ط1، المجلد ج 2. بيروت، 2016، ص 169.
2) إسماعيل محمد قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعارف الجامعية، (د ت)، ص 720.
3) الشمَّاس عيسى، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2004، ص14.
4) شكري علياء وآخرون، قراءات معاصرة في علم الاجتماع، دارالكتاب للتوزيع، ط 2، ا لقاهرة، 1979، ص261.
5) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنانية، المجلد1، بيروت، 1982، ص 39.
6) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2006، ص 76.
7) ماجدي سيف الدين، العقل والنص عند الفلاسفة والمتكلمين، دار علاء الدين للنشر، ط 1، 2008، ص 308.
8) مشكور سامي شهيد وآخرون، موسوعة علم الكلام الوسيط والمعاصر، علم الكلام بين المنهج والتجديد، دار الروافد الثقافية، ج 1، بيروت،2017، ص306.

ثانيا – باللغة الأجنبية:

9) Bernard Claude, Introduction à l'étude de la médecine éxperimentale, Garnier Flammarion, Paris,1966, p63.
10) Hobbes Thomas, L' éviathan, Trad. Par Gérard Mairet, Ed.Gallimard, 2000, p220.
11) Morin Edgard, Science avec conscience, Seuil, Paris, 1990, p156
12) Marx Engels, Oeuvre choisies, thèse sur Feurbach ,Ed.Sociale,T1, Moscou,1978, p09.